محاضرة 10: الاتصال والبناء الثقافي/ الاتصال والحوار الثقافي

التواصل بين الثقافات هو المهارة والقدرة على التواصل بنجاح في سياقات ثقافية مختلفة، وهو شكل من أشكال الاتصال الذي يهدف إلى مشاركة المعرفة والمعلومات بين المجموعات الثقافية المختلفة في الدين والعرق والخلفيات التعليمية، وقد يترتَب عن هذا التواصل تأثيرات متبادلة واستعارات تمثَل مصدرا غنيا لكل ثقافة خاصة إذا قام هذا الاتصال على التكافؤ والاحترام المتبادل وأيضا على الوعي بالاختلاف، وتهتم دراسات التواصل الاجتماعي بدراسة الأوضاع التي يتفاعل فيها الناس من خلفيات ثقافية مختلفة، وتركَز خاصة على الخصائص الاجتماعية وأنماط التفكير والعادات واللغات.

1 ـ تعريف البناء الثقافي:

الثقافة موروث اجتماعي ينتقل من جيل لآخر وهي تشير إلى النمط الكلَي لحياة مجتمع ما والعلاقات بين أفراده وهي أيضا مجموع الإنتاج الفكري والروحي والاجتماعي الذي يؤدي إلى إحداث تغيير في السلوك وأسلوب الحياة، فالثقافة إذن أداة من الأدوات المساهمة في عملية التنشئة الاجتماعية.

والبناء الثقافي هو الهيكل الذي يتم فيه ترتيب كل المكونات الفكرية والعملية للثقافة، وهو من العمليات المعقَدة والصعبة كونه يهتم بالسلوكيات بل وينتجها، ومن متطلبات تحقيق البناء الثقافي رصد وانتقاء الأنماط المعرفية المناسبة التي تعمل على إنتاج سلوك حضاري راقي ولن يتَم ذلك دون العمل على خلق فلسفة تربوية ومناهج تعليمية تلائم النهضة الإنسانية والثقافية التي يشهدها العالم وتساير المتغيرات الاجتماعية والفكرية في العالم لأنَه من خلال التعليم تتطوَر كفاءات التفاعل بين الثقافات.

2ـ تعريف الحوار الثقافي:

الحوار الثقافي أسلوب حضاري ووسيلة للتفاهم وفتح قنوات التواصل مع الآخر وقبول التنوَع، وهو ينمَي القدرة على التفكير المشترك والتحليل وتكمن أهميته في حماية تراث الشعوب وتعزيز القيم الإنسانية المشتركة والتفاهم والاحترام المتبادل وتحقيق التماسك الاجتماعي والمصالحة بين الثقافات والإقرار بمبدأ التنوع الثقافي.

3 ـ تعريف الاتصال الثقافي:

الانسان اجتماعي بطبعه لا يمكنه العيش بمعزل عن غيره وهو يحاول دائما التواصل والتعرَف على الأشخاص المختلفين عنه، لهذا كان وما يزال الاتصال الثقافي ضرورة ملحَة.

والظاهرة الثقافية تاريخية رافقت منذ القدم تطوَر الإنسان، ولأنَ الثقافة تأتي من أصل مشترك فإنَ عالم الأنثروبولوجيا Graebner يرى بأنَ **المسافة بين منطقتين ثقافيتين لا يمكن أن تمنع التواصل الحضاري بين الثقافات سواء أكانت هذه المناطق قريبة أم بعيدة بسبب وجود موجة ثقافية عابرة للحدود** (www.alarabiya.net) ولهذا يمكن تفسير التشابه الثقافي بين الأمم بإرجاعه إلى التواصل الذي حدث في التاريخ.

والاتصال الثقافي هو تبادل الثقافات الرئيسية أو فروعها وأنساقها والاتصال بعضها ببعض تحاورا أو تعارفا وتلاحقا وهذا الاتصال قد يكون تواصلا أفقيا يتم بين ثقافات متزامنة أو بين أقاليم ثقافية معينة أو قد يكون اتصالا رأسيا بين الأجيال المتعاقبة لثقافة ما أو بين فئاتها وطبقاتها المتراتبة اجتماعيا (www.moqatel.com) فالاتصال الثقافي إذن عملية ديناميكية تفاعلية مستمرة تعتمد على المهارات تعنى ببث الثقافة ونقل القيم والمعايير من جيل لآخر ومن مجموعة لأخرى.

4 ـ أهم مهارات التواصل الثقافي:

لنجاح التواصل بين الثقافات المختلفة يجب توفَر مجموعة من المهارات الإدراكية والسلوكية والعاطفية من أهمَها:

ـ القدرة على التكيَف مع ظروف وآراء الآخر بسهولة.

ـ القدرة على المبادرة لإقامة علاقات مع الثقافة المختلفة والتواصل معها.

ـ احترام الاختلافات والفروقات الثقافية.

ـ القدرة على فهم الآخر ومعرفة قيمه ومعتقداته.

ـ التسامح مع الأوضاع الغامضة وغير الواضحة في الثقافة الأخرى.

5ـ نظرية الاتصال الثقافي (التثاقف والمثاقفة):

ابتداء من 1935 ظهرت مصطلحات جديدة في مجال الاتصال الثقافي مثل المثاقفة والمناقلة الثقافية والتجريد الثقافي ممَا ساعد على بلورة اتجاه نظري جديد سميَ بنظرية الاتصال الثقافي وقبل التطرق لها يجب التعريف أولا بالمصطلحات الجديدة.

يعرَف (هرسكوفيتز)المثاقفة قائلا: **التثاقف يشمل الظواهر التي تنجم عن الاحتكاك المباشر والمستمر بين جماعتين من الأفراد مختلفتين في الثقافة مع ما تجرَه هذه الظواهر من تغيَرات في نماذج الثقافة الأصلية لدى إحدى المجموعتين أو كلتيهما**[1] فالمثاقفة إذن تفيد معنى التفاعل والمشاركة المتبادلة بين الثقافات.

بينما يقول Ortiz عن المناقلة الثقافية Transculturation وهو مصطلح ظهر في 1940: **إنني أؤيد الرأي بأنَ كلمة المناقلة الثقافية تعبَر بشكل أفضل من مراحل سياق الانتقال المختلفة من ثقافة إلى ثقافة أخرى لأنَ هذا السياق لا يشتمل فقط على اكتساب ثقافة أخرى بل يتضمَن أيضا بالضرورة فقدان مقدار ما من ثقافة سابقة أي الانتزاع منها وهوما يمكن تعريفه بالتجريد الثقافي déculturation أضف إلى ذلك أنه يقود بالتالي إلى فكرة ظاهرة نشأة ثقافة جديدة وهو ما يمكن تسميته التثقيف الجديد.**[2]

1- نشأة مفهوم التثاقف: أول من استعمل هذا المصطلح في العلوم الاجتماعية هو (جون ويسلي باول) في تقرير للمكتب الأمريكي للإثنولوجيا سنة 1880 وقد عرفه كالآتي: التثاقف هو التغييرات النفسية التي تحدث داخل الشخص بسبب التبادل الثقافي الذي يحدث نتيجة للاتصال الممتد بين الثقافات المختلفة. ويقول (روبيرت ريدفيلد) في مذكرة نشرت عام 1936 بمجلة American Anthropologist بأنَ المصطلح يدل على العمليات والتغييرات التي تسبَبها التفاعلات أو الاتصالات المباشرة والمستمرة القائمة بين مجموعات اثنية مختلفة والتي تحدث إثر اجتياح أو استعمار أو هجرة.

2- نظرية التثاقف: لقد برزت هذه النظرية عندما اهتم علماء الأنثروبولوجيا بالدراسة المتزامنة لمكونات الثقافة وعناصرها الأساسية والعلاقات المتبادلة فيما بينها، وظهر هذا الاتجاه في دراسات مارغريت ميد وهرسكوفيتس على وجه الخصوص.

1- أبحاث مارغريت ميد: تعد ميد رائدة في تبني الاتجاه التواصلي التثاقفي فقد أجرت في أوائل الثلاثينات من القرن الماضي دراسة على مجتمع من الهنود الحمر في أمريكا ومدى تأثرَه بالمستعمرين البيض من خلال الاحتكاك، ونتيجة لذلك ظهرت اضطرابات في الحياة الاجتماعية التقليدية لدى الهنود الحمر استطاعت ميد ملاحظتها في فترة الدراسة وقد وصفت حالة الصراع الشديد التي كان يعيشها الهنود بين الأخذ بالثقافة الجديدة الوافدة عليهم

---

[1] منتديات ستار تايمز، **الأنثروبولوجيا في المجتمع الحديث الجزء12**، www.startimes.com

[2] المرجع السابق

وبين ثقافتهم الأم، كما لاحظت ميد أنَ المستعمرين الوافدين لم يهدفوا إلى التبادل والتفاعل بين الثقافتين بل أرادوا إدماج الهنود في ثقافتهم مع إبقائهم في درجة أدنى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

2- أبحاث هرسكوفيتس: ركَز هيرسكوفيتس على فكرة النسبية الثقافية وتساءل كيف يمكن للأوربيين أن يطلقوا أحكاما تقييمية على الثقافات البدائية الإفريقية خاصة تلك التي لا تعرف الكتابة وتوصَل إلى أنَ الأفراد المنتمين لهذه الثقافات يفسَرون الحياة الإنسانية في حدود ثقافتهم الخاصة، كما توصَل إلى أنَه من الخطأ إطلاق أحكام مسبقة على الثقافات الأخرى ومن الخطأ أيضا استخدام هذه الأحكام كمبرَر للاستعمار.